البكاء في حياة رسول الله ﷺ

البكاء هو إسبال الدموع ألمًا وندمًا وكدرًا وأحيانًا فرحًا، وهو أيضًا إسبالها غمًّا وحزنًا، وإن كثرة الضحك والمبالغة فيه أمرٌ غير محمودٍ في ديننا، وعلى عكس ذلك فإننا نجد البكاء أمرًا محمودًا ومرغوبًا فيه، وفي التنزيل يقول المولى ﷻ فيمن تخلّفوا عن رسوله ﷺ ولم ينضمّوا إليه في غزوة تبوك ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢٤٣]، وهذه الآية تؤكّد على أهمّيّة البكاء وقيمته.

أما عن النصارى فيقول فيهم الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٢٤٤]، ونتعلم من هذه الآية أهمّيّة الدموع وقدرها عند الله.

(٢٤٣) سورَةُ التَّوْبة: ٨٢/٩.

(٢٤٤) سورَةُ التَّوْبة: ٩٢/٩.

وفي أيةٍ أخرى قال تعالى في المؤمنين الفقراء الذين أرادوا الانضمام إلى الجهاد: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[٢٤٥]، فالقرآن الكريم يزكّي مَن تفيض أعينهم بالدموع من خشية الله ويرفع عنهم الحرج، ويحثُّ الناس على البكاء، بيد أن البكاء يجب أن يكون في محله وموضعه، ويكون بالحدّ المعقول، فالبكاء الذي يكون بضرب الرأس وشدّ الشعر، أو البكاء الذي لا ينبع من القلب ويكون بغرض التظاهر؛ هو بكاء غير محمودٍ، فقد كان رسول الله ﷺ يبكي أحيانًا خوفًا على أمته ورأفةً بهم، وأحيانًا ما يبكي رحمة على الأموات وحينًا آخر يبكي خشيةً من الله وخوفًا، وكثيرًا ما يبكي خشوعًا عند سماعه القرآن الكريم أو عندما يصلّي، والآن لِنُلْقِ نظرةً على هذا الموضوع:

أ. بكاؤه ﷺ أثناء الصلاة

كان الرسول ﷺ يبكي أحيانًا بصوتٍ لا يسمعه من يقفون خلفه في الصلاة، وأحيانًا ما كان يعلو صوتُ بكائه فيسمعونه، فعن مطرّفٍ ﷺ عن أبيه قال: "أتيتُ النبيّ ﷺ، وهو يُصَلّي ولِجَوفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ"[٢٤٦]، يعني يبكي بشدّةٍ، ولا ريبَ أنّ بكاءَه هنا هو خشية من الله وخوفٌ منه ﷻ.

بكاؤه أثناء صلاة الكسوف

وعن عائشة ﷺ قالت: "خَسَفَتْ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَامَ وَكَبَّرَ وَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ ﷺ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ قَامَ فَاقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً

(٢٤٥) سورَةُ التَّوْبة: ٩/٩٢.

(٢٤٦) سنن النسائي، السهو، ١٨.

-هِيَ أَدْنَى مِنْ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى- ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا هُوَ أَدْنَى مِنْ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**، -ثُمَّ سَجَدَ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ "ثُمَّ سَجَدَ"- ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَتْ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ**، وَقَالَ أَيْضًا: **فَصَلُّوا حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عَنْكُمْ**، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنْ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أُقَدِّمُ** -وَقَالَ الْمُرَادِيُّ أَتَقَدَّمُ- **وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**"[٢٤٧]، والرسول ﷺ هنا يُعلّمنا أن الخسوف والكسوف هو وقت ذكرٍ ودعاءٍ، ويحثُّنا على ذكر الله ﷻ في مثل هذه الأوقات.

ب. البكاء عند سماع القرآن

كان النبي ﷺ يبكي عند سماعه القرآن، وبكاؤه هنا خوفًا من الله وشوقًا إليه واحترامًا ومحبّةً له، فعن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: "قال لي النبي ﷺ: **اقْرَأْ عَلَيَّ**، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ ﷺ: **فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾[٢٤٨] قَالَ: **أَمْسِكْ**، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ"[٢٤٩].

(٢٤٧) صحيح مسلم، الكسوف، ٣.

(٢٤٨) سورة النساء: ٤/٤١.

(٢٤٩) صحيح البخاري، فضائل القرآن، ٣٣.

ج. البكاء على الموتى

كان النبي ﷺ أحيانًا ما يبكي لفراق أو موت أحدٍ، ومن ذلك بكاؤه يوم فراق عثمان بن مظعون ﷺ فعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَسِيلُ"(٢٥٠)، ولقد رُوِي بُكاء النبيّ ﷺ يوم استشهاد عمّه الحمزة فعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: "لَمَّا جَرَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَمْزَةَ بَكَى، فَلَمَّا رَأَى مُثَالَهُ شَهِقَ"(٢٥١). ولقد ندبَنَا النبيّ ﷺ إلى بعض السلوكيّات، ونهانا عن بعضٍ آخر كالتالي:

١- أمره بالاعتدال في البكاء

كان الرسول ﷺ يحزن لأمر مَن على فراش الموت، ويجول الدمع في عينيه ويبكي رقّةً منه ورحمةً بهم، وقد أمر بالاعتدال في البكاء، وإن كان على مَيْتٍ قريبٍ، وقد كان هو نفسه قدوةً حسنةً لأمّته في هذا الأمر.

بكاؤه على حفيده المتوفّى

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: "أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ ﷺ: **إِنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ ﷺ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ -قَالَ حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ- فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ ﷺ: **هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**"(٢٥٢).

---

(٢٥٠) سنن أبي داود، الجنائز، ٣٥-٣٦.

(٢٥١) الطبراني: المعجم الكبير، ١٤٢/٣؛ الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ٢١٨/٣.

(٢٥٢) صحيح البخاري، الجنائز، ٣٢.

فكان بكاء النبيّ ﷺ في هذا الحديث رحمة، أي إن البكاء ليس دليلًا على العجز والضعف بل هو دليلٌ على الرأفةِ والرحمة النابعة من قلبه الشريف ﷺ، وهناك معنى آخر يفيده الحديث؛ وهو أنّ الله يرحم من عباده الرحماء، فمَنْ لم يُسبل دمعةً واحدةً من عينيه طيلةَ حياته فهو فاقد الرحمة ولا نصيبَ له في رحمة الله إذًا؛ لأنّ مَن لا يَرحَم لا يُرحَم، أما الرحيم فله من صفته نصيب، وإن دموع العين لهي أصدق تعبيرٍ عن مدى الرحمةِ المكنونةِ في أعماق الإنسان، وهي وسيلةٌ لإظهار رحمة الإنسان بالإنسان، ومن ثمّ فهي إحدى الطرق الموصلة إلى رحمة الله ﷻ.

بكاؤه ﷺ من أجل سعد بن عبادة رضي الله عنه

إن الحديث التالي يُعلمنا أنه يجوز لنا أن نبكي على الميت بكاءً غيرَ مبالغ فيه، لا يتجاوز الحدّ المعقول، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ...''فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: **قَدْ قَضَى؟** قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ ﷺ: **أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا** -وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ- **أَوْ يَرْحَمُ** ...''(٢٥٣)، عندما رأى النبيُّ ﷺ سعدَ بنَ عُبادةَ رضي الله عنه مريضًا بكى لحاله، فتحيّر الصحابة من أمره ﷺ، وعندئذٍ أخبرهم أنه لا عذابَ بإذراف الدموع ولكن العذاب بالأقوال السيئة، ومن الطبيعي أن يحزن الإنسان ويبكي على ميته، وإذا ما نظرنا حولنا نجد معظم الناس عندما يواجهون ظروفًا سيّئةً محزنةً يتفوّهون بأقوالٍ مبالغٍ فيها وفي غير محلّها، وقد قال الحبيب ﷺ في

(٢٥٣) صحيح البخاري، الجنائز، ٤٣؛ صحيح مسلم، الكسوف، ١٢.

حديث شريف "**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**" أي إنّ الصبر عند وقوع البلاء والمصيبة الأولى، وعدم التلفُّظ بألفاظٍ نابية؛ أمرٌ في غاية الأهميّة كي لا نجرح شعور الآخرين أو نسخطَ من القدر، ومن ثم علينا أن نصبر على المصائب، وألّا نتفوّه بأقوالٍ مبالغ فيها أو بما لا يتناسبُ مع أخلاق وتعاليم الشريعة الإسلاميّة الغراء.

٢- النهي عن البكاء الذي يصحبه صراخ وصياح

لقد حرم ديننا الصراخَ والصياحَ الشديدَ والأنينَ بصوتٍ عالٍ، وهناك رواياتٌ كثيرةٌ تبيح البكاء دون صراخٍ أو صياح، أما معه فمنهيٌّ عنه.

بكاؤه ﷺ على بنت

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ صَغِيرَةٌ فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَقَضَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيمَنَ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: **يَا أُمَّ أَيمَنَ، أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللهِ عِنْدَكِ؟** فَقَالَتْ: مَا لِي لَا أَبْكِي وَرَسُولُ اللهِ يَبْكِي!؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ**، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَينِ جَنْبَيهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ** ﷻ"(٢٥٤).

فمن الطبيعيّ جدًّا أن تتأثّر النفس البشريّة عند فِراقِ قريبٍ أو حبيبٍ ما، لكن على الإنسان أن يحترم قدرَ الله فيه، وأن يرضى بقضائه ﷻ؛ فلا يجزع ولا يفزع ولا يندب ولا ينوح؛ لكيلا يقع في مغبّة عدم الرضا بقضاء الله وقدره؛ ولكيلا يكون يائسًا من رحمة الله.

(٢٥٤) سنن النسائي، الجنائز، ١٣.

بكاؤه ﷺ على ابنه إبراهيم

حزن الرسول ﷺ كثيرًا لوفاة ابنه إبراهيم، وتهاطلت دموعه الشريفة -روحي فداه- على وجنتيه الشريفتين، ويتبيّن ذلك من الحديث التالي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: "دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا[٢٥٥] لِإِبْرَاهِيمَ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!؟ فَقَالَ: **يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: **إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**"[٢٥٦]، ففي هذا الحديث الشريف يُعلّمنا النبيّ ﷺ أن دموع الرحماء من الناس دليلٌ على رحمتِهم حيث قال "**إِنَّهَا رَحْمَةٌ**"، كما أنه ذكر ثلاثةَ حقوق يجب الانتباه إليها وهي:

١- حقُّ الأب

نرى النبيّ ﷺ في هذا الحديث أبًا يحزن لفقدان ولده، وقد كان البكاء في هذه المواقف يُعدّ في العهد الجاهليّ عيبًا، لذلك فإننا نرى من شاهدوا الرسول ﷺ يبكي قد تعجّبوا لأمره قائلين: "وأنت يا رسول الله؟"، لكنّ بكاءَ أيّ أبٍ على ابنه شعورٌ أبويٌّ فطريٌّ، وإن لم يفعل فهو دليلٌ على أنه لا يملك الأبوّة الكاملة ولا الرحمة المثاليّة، فحق الأبوّة أن يبكي الأب عندما يفقد ولده، لكن دون مبالغةٍ في البكاء وليس لأحدٍ أن يمنعه عن فعل هذا.

---

(٢٥٥) ظئرًا: زوج مرضعته، وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجّارية.

(٢٥٦) صحيح البخاري، الجنائز، ٤٣.

٢- حقّ الابن

يُقدّم الإنسان الغالي والنفيس من أجل أبنائه، ذاك أن ابنه يُعدّ قطعةً من روحه ودمه، لذلك فإن الأب يتأثّر بكلّ النوازل التي تعصف بابنه، وهذا من الحقوق المشروعة لكلّ ابنٍ على أبيه.

٣- حقّ اللّه

إن الإنسان خليفة الله في أرضه، وكلّ ما نملكه هو في الأصل ملك لله، وكما أن جسدنا وصحّتنا نِعَمٌ أنعمَ بها الخالق علينا؛ فإن أبناءنا وجميع أقربائنا الذين نحبّهم أيضًا نعمةٌ من عنده سبحانه، ومن ثمّ لا يحقّ لنا أن نغضب عندما يستردّ الله أمانته التي أعطانا إيّاها، وألا نسيء القول، لأن هذا هو حقّ الله كما أنه دَينٌ لا بدّ من الوفاء به.

د. بكاؤه ﷺ من أجل نجاة أمّته

كان النبيّ ﷺ يعبّر عن شعوره نحو أمته بالدعاء لها والبكاء من أجلها، فقد كان يرتعد خوفًا على أمته ويدعو لها بالنجاة كلّما سنحت له الفرصة، وفي رواية "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾[٢٥٧]، وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٢٥٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ﷺ وَقَالَ: **اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ ﷻ: **يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ**، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ -وَهُوَ أَعْلَمُ- فَقَالَ اللهُ: **يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**"[٢٥٩]، وبهذه البشرى واسى المولى ﷻ نبيَّه ﷺ وطمأنه.

---

(٢٥٧) سورة إبراهيم: ١٤/٣٨.

(٢٥٨) سورة المائدة: ٥/١١٨.

(٢٥٩) صحيح مسلم، الإيمان، ٣٤٦.

ذ. أمره ﷺ لأصحابه بالبكاء

البكاء خوفًا من الله وخشيةً منه وإجلالًا وإعظامًا له؛ هو حالةٌ خاصّةٌ بالمؤمنين، ونرى ذلك في مواضع كثيرةٍ في القرآن الكريم، كما نرى أنه أيضًا يُنذر من يظنون الحياة الدنيا لعبًا ولهوًا، ويقضون عمرهم لاهين ضاحكين، فنجد الآية التالية تؤكّد على أهمّيّة البكاء قال تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٢٦٠)، لقد أمرنا الله في آيات كثيرة من القرآن الكريم أن نعبّر عما بداخلنا بما يتناسبُ مع حالنا، ولقد عاش النبيّ ﷺ حياته على هذا النسق فعَنْ ثَوبَانَ مَولَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ**"(٢٦١)، وهو هنا يحث على البكاء، وقد كان ﷺ يتكلم بكلماتٍ مؤثّرةٍ كي ينبّه أصحابه ويجذب انتباههم إلى معرفة أهوال يوم القيامة، فعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ "**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا**"(٢٦٢).

كان الحبيب يأمر أصحابه بالبكاء دومًا، ويؤكّد أن دموع العين الهاطلة خشيةً من الله وإجلالًا له تكون سترةً ونجاةً لصاحبها من عذاب يوم القيامة، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**"(٢٦٣).

فالحديث يبيّن أن البكاء أحيانًا يكون سببًا من أسباب الوقاية من النار، وفي روايةٍ أخرى عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَا يَلِجُ النَّارَ**

(٢٦٠) سورَةُ التَّوْبَة: ٨٢/٩.

(٢٦١) الطبراني: **المعجم الأوسط**، ٢١/٣.

(٢٦٢) صحيح البخاري، الأيمان والنذور، ٣.

(٢٦٣) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ١٢.

رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ"[٢٦٤]، وهنا يؤكّد النبي ﷺ على قيمة البكاء وقدره عند الله ﷻ.

ر. بكاء أصحابه لبكائه ﷺ

كان الصحابة الكرام ﷺ -من شدّة محبّتهم لرسول الله- إذا تأثر بشيءٍ يتأثّرون، وإذا بكى يبكون، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿أَفَمِنْ هَـذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٢٦٥]، بَكَى أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَنِينَهُمْ بَكَى مَعَهُمْ، فَبَكَيْنَا بِبُكَائِهِ، فَقَالَ ﷺ: "لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَلَو لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ"[٢٦٦]، فكان الصحابةُ يتعاهدون أنفسهم بالبكاء، إما خوفًا وخشيةً من الجبّار ﷻ وإما خوفًا من الوقوع في معصيته، وإمّا محبّةً له واشتياقًا إلى القرب منه، فكانوا في حالةِ التجاءٍ دائمٍ إليه.

ز. وجوب البكاء عند قراءة القرآن

عن سَعد بن أبي وقّاصٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوا، وَتَغَنَّوا بِهِ فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِهِ فَلَيسَ مِنَّا"[٢٦٧]، فقد يكون النبي قصد بهذا الحديث أن يقول "ابحثوا لأنفسكم عن السبل التي تُرقّق قلوبكم وتُلينها"، وهناك وضعان مختلفان لذلك، أحدهما أنْ يُجبر الإنسان نفسَه على البكاء رياءً،

(٢٦٤) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ٨.
(٢٦٥) سورة النجم، ٥٣/٥٩ ـ ٦٠.
(٢٦٦) البيهقي: شعب الإيمان، ٢/٢٣٣.
(٢٦٧) سنن ابن ماجه، إقامة الصلوات، ١٧٦.

والآخر أن يحملَ الإنسان نفسَه على البكاء خشوعًا عند سماع القرآن، فالأول مُحرّم، والثاني مأمور به.

هـ. البكاء على الذنوب

أمر النبي ﷺ عقبةَ بن عامر ﷺ أن يبكي على خطيئته عندما سأله عن طريق النجاة فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ، قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ ﷺ: **امْلِكْ عَلَيكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**"(٢٦٨)، وفي هذا الحديث يأمر النبي ﷺ بـ:

١- إمساك اللسان عن قول السوء.

٢- الجلوس في البيت مبتعدًا عن الناس ومتفرّغًا للطاعات والعبادات متضرّعًا إلى الله.

٣- البكاء والندم على الذنوب والمعاصي.

و. أمره ﷺ بالتباكي عند عدم الاستطاعة على البكاء

أمر النبي ﷺ من لا يبكون من الناس أن يتباكوا، فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا**"(٢٦٩).

ي. أمره ﷺ بالبكاء خشية من الله

وقد حثّ النبيّ ﷺ على البكاء خشيةً من الله، وطربًا بذكر الله، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: "**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ**

(٢٦٨) سنن الترمذي، الزهد، ٦٠.

(٢٦٩) سنن ابن ماجه، الزهد، ١٩.

امْـرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِـبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَـمَ شِـمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُـلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَـتْ عَيْنَاهُ"(٢٧٠)، ولنختـم موضوعنـا بهـذا الحديـث الشـريف الـذي يوضّـح فضـل البكاء بما ورد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لَيسَ شَيءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْرَتَينِ وَأَثَرَين، قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْـيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَم تُهَرَاقُ فِي سَـبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ**"(٢٧١).

وبهذا نستخلص أن البكاء له ثلاثة أسباب:

١- أن يكون ناتجًا عن مشاعر وعواطف دينيّة.

٢- أو خوفًا وخشيةً من الله.

٣- أو بسبب البلايا والمصائب التي تصيب الإنسان.

والمهمّ في كل أنواع البكاء أن لا يخرج عن أُطُرِ المنطقيّة والعقل وأن لا يصـل إلـى الإفراط أو التفريط وألّا يتخلّلـه صياح أو صراخ أو كلماتٌ تنمّ عن عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

وأخيـرًا إن البكاء هو شـعورٌ فطريٌّ داخليّ يُكْسِـبُ الإنسـان الراحة، وكما أمرنا الرسـول الكريم ﷺ أيضًا بالبكاء في الصلاة وعند قراءة القرآن أو علـى الأقـلّ التباكـي، فإنه قد أجاز لنا البكاء فـي الأحزان دون عصيان للقـدر، وبـلا صـراخٍ أو صياحٍ -أي بـكاء لا إفراط فيه- كمـا يجب علينا أيضًا أن نبكي وندعو من أجل نجاة أمّتنا في الآخرة، ومن أجل العفو عن خطايانـا، بيـد أن بكاءنا هذا يجب أن يكون من القلب وخشـية وخوفًا من الله وألّا نضعه في غير محلّه أو موضعه.

---

(٢٧٠) صحيح البخاري، الأذان، ٣٦.

(٢٧١) سنن الترمذي، فضائل الجهاد، ٢٦.

القسم الثامن

آداب رسول الله ﷺ في الولائم

إجابة الدعوة في حياة رسول الله ﷺ

الدعوة (المناسبة): هي الاجتماعات التي يُقدّم فيها الطعام والشراب مودّةً واحترامًا وتآلفًا بين الناس، أما إجابة الدعوة فتعني قبولها وتلبيتها، وثمّة أصولٌ وقواعد مهمّةٌ من أجل تقوية أواصر الصداقة والمودّة والحبّ بين المسلمين، من أهمّها إجابة الدعوة، ونتعلّم من الحديث التالي أن إجابة الدعوة من أهمّ الواجبات التي على المسلم أن يؤدّيها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ**"(٢٧٢)، كما أكّد المصطفى ﷺ أيضًا على أن إجابة الدعوة حقّ المسلم على المسلم، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**خَمْسٌ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ: رَدُّ التَّحِيَّةِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَشُهُودُ الْجِنَازَةِ، وَعِيَادَةُ**

(٢٧٢) صحيح مسلم، النكاح، ١٦.

الْمَرِيضِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللهَ"[٢٧٣]، ذكر الحديث السابق أن إجابة الدعوة من الواجبات الأساسيّة على المسلم، وكان النبيّ ﷺ يُدعَى لموائد طعام ومراسم أعراسٍ ومناسباتٍ وأماكن مهمّة؛ فكان ﷺ يُلبّي هذه الدعوات، بل ويدعو أصحابه أيضًا إلى منزله، والآن لنلقِ نظرةً خاطفةً على هذه الناحية:

أ. تلبيته ﷺ للدعوات

١- إجابته ﷺ لموائد الطعام

كان الحبيب ﷺ يجيب دعوات الطعام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لَو دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ وَلَو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ**[٢٧٤] **لَقَبِلْتُ**"[٢٧٥]، ولحم الذراع والكراع المذكور في الحديث هو نوعٌ من اللحوم التي لا يفضلها الكثير من الناس، وتلبيته ﷺ لمثل هذه الدعوات دليلٌ على تواضعه، أما المعنى الآخر الذي يفيده الحديث؛ فهو اتّباع سنّة النبيّ ﷺ في إكثار الضيافة وتقديم أفضل أنواعها وألّا يُحقّر الضيف ما قُدّم له، ذاك أن هذه الدعوات تُقوّي العلاقات الاجتماعية وتزيد الصداقة والمودّة بين الناس، ومن ثمّ علينا تلبية هذه الدعوات بقدر استطاعتنا.

إجابته ﷺ لدعوة جابر ﷺ

يروي لنا جابر ﷺ أن الرسول ﷺ انضمّ إلى مائدةٍ عليها طعامٌ يكفي بضعةَ أشخاصٍ، إلّا أن ما يقرب من ألفِ شخصٍ قد شبعوا منها، عن

(٢٧٣) سنن ابن ماجه، الجنائز، ١.

(٢٧٤) ذراع: اليد من الحيوان، والكراع: ما استدقّ من ساق الحيوان.

(٢٧٥) صحيح البخاري، الهبة، ٢.

جَابِر ﷺ قَالَ: "إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ، فَقَالَ ﷺ: **أَنَا نَازِلٌ**، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ فَذَبَحَتْ الْعَنَاقَ وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ[٢٧٦] ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ[٢٧٧] قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ لِي فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ ﷺ: كَمْ هُوَ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ قَالَ ﷺ: **كَثِيرٌ طَيِّبٌ**، قَالَ ﷺ: **قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعْ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنْ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ**، فَقَالَ ﷺ: **قُومُوا**، فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ ﷺ: **ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا**، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ قَالَ ﷺ: **كُلِي هَذَا وَأَهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**"[٢٧٨].

إجابته ﷺ لدعوة بني سلمة

كان النبي ﷺ يلبي غالبًا ما دعوة أي قبيلةٍ، ويروي لنا أنس بن مالك ﷺ أنه ﷺ أجاب دعوة بني سلمة، حيث قَالَ: "صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَصْرَ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نُرِيدُ أَنْ

(٢٧٦) البرمة: قِدْرٌ عَميقٌ مِنَ الحِجارَةِ أَوِ النُّحاس.

(٢٧٧) الأثافي: جمع أُثْفِية، وهي أحجار ثلاثة تُوضع عليها القدر فوق الموقد.

(٢٧٨) صحيح البخاري، المغازي، ٣٠.

نَنْحَرَ جَزُورًا لَنَا وَنَحْنُ نُحِبُّ أَنْ تَحْضُرَهَا، قَالَ ﷺ: **نَعَمْ**، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْنَا مَعَهُ فَوَجَدْنَا الْجَزُورَ لَمْ تُنْحَرْ فَنُحِرَتْ ثُمَّ قُطِّعَتْ ثُمَّ طُبِخَ مِنْهَا ثُمَّ أَكَلْنَا قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ"[٢٧٩]، وهذا الحديث يُبين أن النبيّ ﷺ قد لبّى هذه الدعوة، وأكل من الجمل المقدّم له، وباركه، وهذا دليلٌ على لينه ﷺ وتسامحِه ورأفتِه بأصحابه.

إجابته ﷺ لدعوة الفقراء

لم يُفرّق الرسول ﷺ بين الناس في تلبية دعواتهم، مثلما لم يُفرّق بينهم في أيّ شيءٍ آخر، فهو يُجيب الدعوة غنيًّا كان الداعي أم فقيرًا ولا يجرح شعور أحد، خاصة دعوة الفقراء الذين لا يملكون ما يقدّموه للناس لقلّة حيلتهم، فكان الرسول الحبيب ﷺ لا يُقصّر في تلبية دعواتهم تطييبًا لخاطرهم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ لَهُ فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ: "**قُومُوا فَلأُصَلِّ لَكُمْ**" قَالَ أَنَسٌ فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ[٢٨٠]، كما أن هناك أمر آخر يجب الانتباه إليه في موضوع الدعوة ألا وهو دعوة الجيران بعضهم البعض، فعلى النساء خاصّةً الانتباه لهذا الأمر عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**تَهَادَوْا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ**"[٢٨١]، فلا ينبغي احتقار ما تقدّمه الجارة لجارتها مهما كان صغيرًا وقليلًا، ولا ينبغي أبدًا التكبّر أو الغرور بل ينبغي العيشُ ببساطة وتواضعٍ قدر المستطاع.

(٢٧٩) صحيح مسلم، المساجد، ٣٤.

(٢٨٠) صحيح البخاري، الصلاة، ٢٠.

(٢٨١) سنن الترمذي، الولاء والهبة، ٦.

إجابته ﷺ لدعوة الغلام الخيّاط

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "دَخَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى غُلَامٍ لَهُ خَيَّاطٍ، فَقَدَّمَ إِلَيهِ قَصْعَةً فِيهَا ثَرِيدٌ، قَالَ: وَأَقْبَلَ عَلَى عَمَلِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُهُ فَأَضَعُهُ بَينَ يَدَيهِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ بَعْدُ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ"(٢٨٢)، يُعتَبَرُ هذا الحديثَ في غاية الأهمّية، حيث يوضّح لنا مدى تواضعه ﷺ وتقديرِهِ للناس، فنجد فيه أن النبيّ ﷺ قد لبّى دعوة شخصٍ فقيرٍ لم يُذكر اسمه حتى، وطيَّب خاطرَه.

إجابته ﷺ لدعوة أبي طلحة

عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال: "قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيءٍ؟ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟** فَقُلْتُ نَعَمْ، قَالَ ﷺ: **بِطَعَامٍ؟** قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: **قُومُوا**، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَينَ أَيدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيسَ عِنْدَنَا مِنْ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى دَخَلَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ؟** فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً(٢٨٣) لَهَا فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**،

(٢٨٢) صحيح البخاري، الأطعمة، ٢٥.

(٢٨٣) العُكّة: زِقٌّ صَغير للسمن.

فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا"(٢٨٤).

٢- إجابته ﷺ لدعوات مراسم الأعراس

يجتمع الناس في الحياة اليوميّة لأسبابٍ عدّةٍ، وهذه التجمُّعات توطِّد مشاعر الصداقة والأخوّة فيما بينهم، ولا ريب أن أهمّ هذه التجمّعات هي حفلات الأعراس، فليس من اللائق أن نترك هذين الشخصين وحيدَين في أسعد أيّامهما، وذلك من باب التضامن الاجتماعي، ومن ثمّ أمر النبي ﷺ بتلبية دعوات حفلات الزفاف، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ "**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا**"(٢٨٥)، وفي الحديث التالي يُشير الرسول الكريم ﷺ إلى أهمّيّة إجابة الدعوة وضرورة تناول الطعام المقدّم إن لم يكن هناك عذرٌ مقبولٌ يمنع من ذلك، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ**"(٢٨٦).

أمره ﷺ بالذهاب إلى مراسم الأعراس

أمر النبيّ ﷺ بالذهاب إلى حفلات الزفاف، وقال فيمن لا يودّون الانضمام إلى مثل هذه الدعوات دون عُذرٍ: "...**وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**"(٢٨٧)، وفي رواية أخرى عن نافع قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: "**أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا**، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ وَهُوَ صَائِمٌ"(٢٨٨).

(٢٨٤) صحيح البخاري، المناقب، ٢٥.
(٢٨٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٧٢.
(٢٨٦) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٦٩).
(٢٨٧) صحيح مسلم، النكاح، ١٦.
(٢٨٨) صحيح البخاري، النكاح، ٧٥.

أمرُه ﷺ مَن يأتي دون دعوةٍ أن يستأذن أهل البيت

لا ريب أن من أهمّ قواعد إجابة الدعوة والأصول التي يجب على المسلم اتباعها هو عدم ذهاب الشخص إلى مكانٍ لم يُدعَ إليه، كما أنه لا يليق إحضار صديقٍ غير مدعوٍّ إلى مكانٍ دُعينا إليه نحن، وإن حدث ذلك فعلينا أن نستأذن من صاحب الدعوة، ولقد قال الرسول ﷺ فيمن يذهب دون دعوة في رواية عن عبد الله بن عمر ﷺ: "...**وَمَنْ دَخَلَ عَلَى غَيرِ دَعْوَةٍ دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا**"(٢٨٩)، أما إذا اضطررنا لإحضار شخصٍ معنا أو أنه جاء رغمًا عنا فعلينا أن نطلب الإذن من صاحب الدعوة، ويستوقفنا هنا الحديث التالي عن ابن مسعود ﷺ قال: "جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يُكْنَّى أَبَا شُعَيبٍ فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ قَصَّابٍ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ، فَدَعَاهُمْ فَجَاءَ مَعَهُمْ رَجُلٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنَّ هَذَا قَدْ تَبِعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ فَأْذَنْ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجَعَ**، فَقَالَ: لَا بَلْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُ"(٢٩٠)، وفي الحديث يوضّح الحبيب ﷺ لصاحب البيت أن ذلك الرجل الذي تبعه لم يأتِ بدعوةٍ منه، فهو بذلك جنّب المدعوّين من الوقوع في الحرج، ونراه أيضًا قد هيّأ للضيف الذي جاء بغير دعوةٍ المناخَ ليتواجد في المكان وهو مطمئنّ، كما أنه أيضًا يُعلِّم كلًّا من الداعي والمدعوّ ماذا عليهما أن يفعلا في مثل هذا الموقف.

٣- إجابته ﷺ لدعوات أصحابه إلى منازلهم:

تلبيته ﷺ للدعوة في المنزل الذي استُخدم مسجدًا

كان الصحابة يدعون النبيّ ﷺ إلى منازلهم كي ينتفعوا من فيض يمنه وبركته، ومنهم مَن يُجهّز ركنًا خاصًّا في بيته ويطلب من النبيّ ﷺ

(٢٨٩) سنن أبي داود، الأطعمة، ١.

(٢٩٠) صحيح البخاري، البيوع، ١٦٣.

أن يصلّي فيه، فكان النبيّ يطيّب خاطرهم ويستجيب لذلك، ويستوقفنا هنا الحديث التالي: فعن مَحْمُود بْن الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيَّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ -وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ- أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَأَنَا أُصَلِّي لِقَومِي، وَإِذَا كَانَتِ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَينِي وَبَينَهُمْ وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنَّ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ لَهُمْ، وَدِدْتُ أَنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ تَأْتِي فَتُصَلِّي فِي مُصَلًّى، فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ**، قَالَ عِتْبَانُ: فَغَدَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيتَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **أَينَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيتِكَ؟** قَالَ: فَأَشَرْتُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيتِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَينِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ: وَحَبَسْنَاهُ عَلَى خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ لَهُ، قَالَ: فَثَابَ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ حَولَنَا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي الْبَيتِ رِجَالٌ ذَوُو عَدَدٍ"(٢٩١).

ويبيّن هذا الحديثُ بوضوحٍ مدى اهتمام النبيّ ﷺ بتلبيةِ دعوة أصحابه، حيثُ أجاب النبيّ ﷺ دعوة ذلك الرجل المسنّ الذي لا يستطيع الحضور إلى المسجد بسبب مرضه وشيخوخته، وذهب إليه ملبّيًا دعوته في اليوم التالي مباشرةً.

ب. الدعوات التي لم يلبِّها المصطفى ﷺ

دعوات المتكبّرين والمتغطرسين من الناس

نهى النبيّ ﷺ عن دعوة الأغنياء فقط بقصد التباهي والتفاخر وإهمال دعوة الفقراء، وذمّ ذلك ووصفَ ما يُقدّم فيه بأنه شرّ الطعام، ففي رواية عَنْ

(٢٩١) صحيح مسلم، المساجد، ٤٧.

أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ**"[٢٩٢]، فيؤكّد الحديث على أهمّيّة تلبية الدعوة، وعدم التمييز بين الناس أو التفرقة بينهم عند توجيه الدعوة إليهم، ويُرشدنا ﷺ إلى السلوك الحسن القويم ألا وهو المساواة عند توجيه الدعوة وعدم التفريق بين غنيٍّ أو فقيرٍ امتثالًا لأمر الله وابتغاءً لرضوانه.

وكان النبيّ ﷺ يُحاول -قدر استطاعته- تلبية الدعوة، شريطةَ خلوّها من المحرّمات والمنكرات، وكان متواضعًا في الهيئة والكيفيّة التي يجلس فيها لتناول الطعام، فعن أنس بن مالكٍ ﷺ قال: "**مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ، وَلَا فِي سُكُرُجَةٍ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ**"[٢٩٣].

ج. دعوته ﷺ للضيف في منزله

دعوته ﷺ لجابرٍ إلى الطعام في منزله

كان النبيّ ﷺ أكرمَ البشر وأجودَهم على الإطلاق، يُعطي المحتاج كلّ ما في يده، حتى إنه كان يُعطي عطاء مَن لا يخشى الفقر، وذات يوم مرّ على منزل جابر بن عبد الله ﷺ -الذي كان معسرًا ماديًّا ومعيلًا لإخوته السبعة بعد استشهاد والده في يوم أُحُدٍ، والذي كان متفانيًا في خدمةِ إخوته الأيتام ورعاية أسرته الكبيرة- الذي كان النبيّ يحبّه ويحترمه أيّما حبٍّ واحترام، ودعاه إلى الطعام في بيته ﷺ ويروي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: "كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا، فَقَالَ ﷺ: هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ فَوُضِعْنَ عَلَى بتّيٍّ، فَأَخَذَ

(٢٩٢) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٨٤).

(٢٩٣) صحيح البخاري، الأطعمة، ٢٣.

رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرْصًا فَوَضَعَهُ بَينَ يَدَيهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ فَوَضَعَهُ بَينَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ فَكَسَرَهُ بِاثْنَينِ فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَينَ يَدَيهِ وَنِصْفَهُ بَينَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **هَلْ مِنْ أُدُمٍ؟** قَالُوا لَا إِلَّا شَيءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ ﷺ: **هَاتُوهُ فَنِعْمَ الْأُدُمُ هُوَ**"(٢٩٤).

وأخيرًا: يجب تلبية الدعوة إلى الطعام أو العرس، خاصّةً إن كانت هناك دعوات من الأقارب والأصدقاء المقرّبين والفقراء، كما يجب علينا أيضًا أن ندعوهم، وألا نذهب إلى أيّ وليمةٍ دون دعوةٍ وألا نُجيب دعوة المتكبّرين والمتغطرسين من الناس وأن لا نجيب الدعوات التي تحتوي على المحرّمات أو المنكرات.

(٢٩٤) صحيح مسلم، الأشربة، ٣٠.

القسم التاسع

آداب رسول الله ﷺ في التهادي

التهادي في حياة رسول الله ﷺ

كلمة هدية: في اللغة العربيّة مشتقّةٌ من كلمة هداية -هَدي، هُدى- بمعنى "الإرشاد إلى الطريق الصحيح".

ومن معانيها أيضًا إعطاء الشخص لغيره شيئًا لإظهار محبّته له، ولكي تقوى روابط الأخوّة والصداقة وتدوم طويلًا؛ لا بدّ من دعمها ماديًّا ومعنويًّا، ولا ريب أن التهادي وسيلةٌ لهذا الدعم، وليس في القرآن آيةٌ تتعلّق بحكم التهادي وقبول الهدية إلا تلك الآية التي تتحدّث عن ملكة سبأ والهدايا التي أرسلتها لنبيّ الله "سليمان" وأنه عليه السلام لم يقبل هدية القوم الكافرين لأنهم لم يقبلوا دعوته للحقّ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٢٩٥].

(٢٩٥) سورة النّمل: ٢٧/٣٥-٣٦.

أمـا الأحاديث فهنـاك رواياتٌ كثيرةٌ تتعلّق بموضـوع التهادي، وقبول الهديّة وردّها، والآن لنُلْقِ نظرةً على بعض المواقف في حياة الرسـول ﷺ التي تتعلّق بموضوع التهادي.

أ. مَنْحُ الهدية وقبولُها

١- إعطاؤه ﷺ الهدايا

مثلمـا كان النبـيّ ﷺ يقبـل الهدايـا، كان أيضًا يقدّمهـا، وكان النبيّ ﷺ يُقـدّم الهدايـا دون مقابلٍ فكان يهادي نسـاءَه وجيرانَه وأقربـاءَه وأصحابَه وخدَمَه ومَنْ يَوَدُّ أن يحبّبهم في الإسلام، والوفودَ التي تأتي لزيارته، وكان من جملة الهدايا التي يُقدّمها النبيّ ﷺ اللباسُ والطعامُ والعطورُ والأحصنةُ والجِمالُ واللحومُ والأراضي وغيرها، فعَنْ عَائِشَـةَ ﵂ قَالَتْ "**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا**"(٢٩٦)، وكانت الهدية التي يقدمها الرسول تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية بالنسبة للشخص المُهدى إليه.

الأشخاص الذين أهداهم

أ. من أراد أن يهديهم للإسلام

الهديّة التي أهداها لصفوان بن أميّة:

عَـنِ ابْنِ شِـهَابٍ قَالَ: "**غَزَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْـحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْـلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُـولُ اللهِ ﷺ يَومَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً**" قَالَ ابْنُ شِـهَابٍ: حَدَّثَنِي سَـعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: "**وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**"(٢٩٧).

(٢٩٦) صحيح البخاري، الهبة، ١١.

(٢٩٧) صحيح مسلم، الفضائل، ١٤.

وكما نرى فإنّ النبيّ ﷺ أهدى لصفوان من النّعَمِ ما لا يخطر ببالِ أحدٍ، وذلك بُغيَةَ إدخال الإسلام إلى قلبه.

ب. من دخلوا في الإسلام حديثًا

الهدية التي أهداها النبيُّ ﷺ إلى الشاعر المعروف "كعب بن زهير":

كان في عهد المصطفى ﷺ شعراء وفصحاءُ وبُلغاءُ مسلمون كُثُرٌ، كما كان هناك أيضًا من الفصحاء والشعراء من يُصرّ على الكفر محاولًا إيذاء النبي ﷺ وأصحابه بأبياتٍ من الشعر، وقد كان "كعب بن زهيرٍ" أحدَ هؤلاء الشعراء، وقد أسلم أخوه "بُجير"، ولمّا أحسّ زهيرٌ بالحقد والكراهيةِ لدخول أخيه في الإسلام، كتب شعرًا سيّئًا، وعندما قرأه "بُجير" على رسول الله ﷺ، حزن النبي ﷺ، ثم قال لأصحابه: ''**مَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنِّي قَدْ أَهْدَرْتُ دَمَهُ مِنَ الْآنَ**''، فأرسل "بُجير" إليه خطابًا يُحذّره فيه وينصحه، فَلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الْكِتَابُ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَرْجَفَ بِهِ مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، فَقَالُوا: هُوَ مَقْتُولٌ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مِنْ شَيءٍ بُدًّا؛ قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوفَهُ وَإِرْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَينَهُ وَبينَهُ مَعْرِفَةٌ، -مِنْ جُهَينَةَ كَمَا ذُكِرَ لِي- فَغَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَشَارَ لَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ، فَقُمْ إِلَيهِ فَاسْتَأْمِنْهُ، فَذُكِرَ لِي أَنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيرٍ قَدْ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا مُسْلِمًا، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **نَعَمْ**، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ ابْنِ قَتَادَةَ: أَنَّهُ وَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي وَعَدُوَّ

اللهِ أَضْـرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: **دَعْهُ عَنْـكَ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا، نَازِعًا عَمَّـا كَانَ عَلَيْهِ**، قَالَ فَغَضِـبَ كَعْبٌ عَلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ، لِمَا صَنَـعَ بِـهِ صَاحِبُهُـمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِخَيرٍ، فَقَالَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي قَالَ حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ:

إِنَّ الرَّسَولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُول[٢٩٨].

وكمـا نرى في الحديث الشـريف السـابق فعلى الرغم مـن أنه عادى النبيّ ﷺ لبعضِ الوقت إلا أن النبيّ قَبِلَ رجوعَه عن غيّه وصفح وعفا عنه، بل وأهداه بردةً نبويّة شريفةً مباركة[٢٩٩].

ج. أصحابه ﷺ

إعطاؤه نقودًا لسيدنا عمر رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ عمر يَقُولُ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِـي الْعَطَـاءَ فَأَقُولُ أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي فَقَالَ ﷺ: **خُذْهُ إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَـيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْـرِفٍ وَلَا سَـائِلٍ فَخُذْهُ وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**"[٣٠٠].

والعَطَـاءُ: منحُ الشـيء بكرمٍ وإحسـانٍ وتسـامحٍ، وهي كلمـةٌ يندرجُ تحتها كلّ أنواع الخير والمساعدة، كما تطلق على المال الذي يُعطى لمن يُجاهدون في سبيل الله.

وقد ذُكر في القرآن الكريم الأصناف التي تستحقّ الزكاة، ومن هؤلاء المجاهـدون في سـبيل الله، والعطـاء المذكور في الحديث هنـا؛ هو نقودٌ خاصّةٌ غير نصيب المجاهدين المذكور في القرآن الكريم، وقد كان النبيُّ

(٢٩٨) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ٣/٣٦٩.

(٢٩٩) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٣٦٩.

(٣٠٠) صحيح البخاري، الزكاة، ٥١.

ﷺ أحيانًا ما يُعطي سيدَنا عمر ﷺ عطاءً بصفته مجاهدًا في سبيل الله، مع العلمِ أنه كان يوجدُ في ذلك الوقت مَن هم أشدّ احتياجًا مِن سيدنا عمر ﷺ إلا أنّ هناكَ سببًا خاصًّا -كما يبدو- لاختيار سيدنا عمر ﷺ وإعطائه هذا المال.

وهذا الحديث يؤكّد أنه يجوز منح عطاء خاصّ لمن يجتهدون كثيرًا، وينالون حب الجميع ويوزعون ما يأخذونه بالعدل، وينفقونه في سبيل الله، حتى وإن كان هناك من هم أشدّ احتياجًا منهم، ولقد شرح هذا الحديثُ بوضوح أن "التهادي" هو تعبيرٌ عن أفضل حالات العلاقات الإنسانية، وأن الهدف الأساسي منه هو توطيد الصداقة والأخوّة بين الناس وترسيخها، ويفضل الإنسان أن يُهادي مَن يحبّهم ويرغب في مصادقتهم، ومن ثمّ فإن المهم هو شيوع التهادي بين الناس، وليس المهمّ هو قيمة الهدية، فعندما نتهادى علينا أن لا نُبالي بقيمة الهديّة وثمنها لأنها شيءٌ رمزيّ.

وإنّ الإنسان يقتني الهديّة ويمنحها لمن يحبّهم ويحترمهم ويُقدّرهم، وإذا قرنت مع الهديّة نيّةُ اتّباع النبيّ ﷺ حازَ شرف وثواب الاتّباع، ولذلك فإنّ الهديّة برمزيّتها وليست بكثرتها أو قلّتها، والمهمّ هو كسبُ وُدّ الصديق وتطييبُ خاطره بغضّ النظر عن الهديّة ودون التَّشَوُّفِ إليها.

د. من يطلب الهديّة بإلحاحٍ

إعطاؤه هديةً للرجل الذي طلبها ثلاث مرّات متتالية:

كان النبي ﷺ عندما يطلب أحدٌ منه شيئًا يعطيه إياه إن كان متوفّرًا لديه، وإلا فكان يَعِدُ بأن يعطيه، فلم يكن يخيّبُ أو يردّ سائلًا ولذا نراه يُهْدِي الرجلَ الذي طلب منه هديّةً ثلاث مرّاتٍ فيُعطيه هديّةً في كلّ مرّةٍ يطلب فيها، وقد يتطوّر الأمر من قِبَلِ طلاب الهدايا فيطلبُ أحدهم من النبيّ ﷺ رداءه الوحيد الذي يرتديه؛ وإذ بالنبيّ ﷺ يخلعُ رداءه ويُقدّمه

لهـم دون تـردّدٍ أو تباطـؤ، أو قد يطلبُ أحدهم من النبـيّ ما ليس بحوزته فـي ذلـك الوقت، فعَنْ عُمَرَ بْـنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: "جَاءَ رَجُـلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَـأَلَهُ فَقَالَ: **مَا عِنْدِي شَـيءٌ أُعْطِيكَ، وَلَكِنِ اسْتَقْرِضْ حَتَّى يَأْتِينَا شَيءٌ فَنُعْطِيَكَ** فَقَالَ عُمَرُ: مَا كَلَّفَكَ اللهُ هَذَا، أَعْطَيتَ مَا عِنْدَكَ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ فَلَا تُكَلَّفْ، قَالَ: فَكَرِهَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَولَ عُمَرَ حَتَّى عُرِفَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ الرَّجُـلُ: يَـا رَسُـولَ اللهِ بِأَبِي وَأُمِّـي أَنْتَ، فَأَعْطِ وَلَا تَخْشَ مِـنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: **بِهَذَا أُمِرْتُ**"(٣٠١).

٢- قبوله ﷺ الهدية

لقـد كان النبـيّ ﷺ يقبـلُ الهديّة ولا يردّها، ولذلك فقـد كانت الهدايا تأتيـه كثيـرًا، كما أن مـن عادات ذلك العهـد أن يتهادى الملوك ورؤسـاء القبائل، ومن ثمّ كانت تأتيه هدايا كثيرة من الدول المجاورة، وهذه الهدايا عبـارة عن أشـياء كثيـرة تعود لذلك العهد مـن ألبسـةٍ وأدواتٍ كنحوِ جبّةٍ أو طقمٍ أو بردةٍ أو خفٍّ أو خيمةٍ أو عطورٍ أو سيفٍ أو جملٍ أو حصان أو بغلٍ أو دنانير، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**لَو أُهْدِيَ إِلَيَّ كُـرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَـو دُعِيتُ عَلَيهِ لَأَجَبْتُ**"(٣٠٢)، فـكان النبي ﷺ يقبل الهديّة دون أن يبالي بقيمتها، وكان يسـتخدم الهدايا المرسـلة إليه، وربّما يرسلها لآخرين، أو يوزّعها على بعض المحتاجين من المسلمين.

هدايا الملوك

عَـنْ عَلِيٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ "أَنَّ كِسْـرَى أَهْدَى لَـهُ، فَقَبِلَ، وَأَنَّ المُلُوكَ أَهْـدَوا إِلَيـهِ، فَقَبِـلَ مِنْهُـمْ"(٣٠٣)، ويتبيّـن مـن هـذه الرواية أن الرسـول ﷺ كان يقبـل هدايـا ملـوك الدول المجـاورة، بصفته قائمًا علـى رأس الدولة

(٣٠١) مسند البزار، ٣٩٦/١.

(٣٠٢) سنن الترمذي، الأحكام، ١٠.

(٣٠٣) سنن الترمذي، السير، ٢٣.

الإسلامية، وإذا ما نظرنا للأمر من منظور تحسين العلاقات الثنائية بين الدولتين؛ فإنّنا نجد أن قبول النبيّ الهدايا -حتى من غير المسلمين- يخدم مصالح الدولة الإسلامية العليا في ذلك الوقت.

كما أننا إذا استقرأنا الهدايا التي قُدِّمت إلى النبي ﷺ من ملوك ذلك العصر؛ فإننا نجدها على النحو التالي:

فقد أهداه "هرقل" ملك الروم؛ لباسًا ملوّنًا بالسندس الأحمر، ودينارًا وكوبًا مليئًا بالزنجبيل وجُبَّةَ حريرٍ، وأهداه "فَرْوَةُ بنُ عَمْرٍو" عامل الروم في معن؛ حصانًا يسمّى "زريب" وبغلةً بيضاءَ تُسمّى "فضَّة"، أمّا "النجاشيّ" ملك الحبشة؛ فقد أهداه خفًّا أسود وقدحًا زجاجيًّا وثلاثةَ رِمَاحٍ وخاتمًا من ذهبٍ، وأهداه "المقوقس" حاكم مصر؛ لباسًا حريريًّا والجاريةَ "ماريةَ" وأختَها "سيرين" وبغلةً تُسمّى "دُلدُل" وحمارًا يُسمّى "عُفير" وقدحًا زجاجيًّا وكحلًا ومرآةً ومشطًا، أما ملك "أيلة"؛ فقد أهداه بغلًا أبيض، أما ملك "ذي يزن"؛ فقد أهداه لباسًا من حريرٍ كان قد ابتاعه مقابل ثلاثةٍ وثلاثين جمل.

وأما بالنسبةِ إلى كيفيّة تصرّف النبيّ ﷺ بالهدايا الممنوحةِ إليه، فلقد ذكر "القاضي عياض" في كتابه "الشفا" قائلًا: ''فَانْظُرْ سِيرَةَ نَبِيِّنَا ﷺ وَخُلُقَهُ فِي المال، تجده قد أوتي خزائن الْأَرْضِ، وَمَفَاتِيحَ الْبِلَادِ، وَأُحِلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ، وَفُتِحَ عَلَيهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ بِلَادُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَجَمِيعُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَمَا دَانَى ذَلِكَ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ أَخْمَاسِهَا وَجِزْيَتِهَا وَصَدَقَاتِهَا مَا لَا يُجْبَى لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْضُهُ، وَهَادَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَقَالِيمِ، فَمَا اسْتَأْثَرَ بِشَيءٍ مِنْهُ وَلَا أَمْسَكَ مِنْهُ دِرْهَمًا، بَلْ صَرَفَهُ مَصَارِفَهُ وَأَغْنَى بِهِ غَيرَهُ، وَقَوَّى بِهِ الْمُسْلِمِينَ''(٣٠٤).

(٣٠٤) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ١/٢٠٤.

عدم قبوله الصدقة

كان الرسول ﷺ يُفرق بين الصدقة والهدية، فيردّ الصدقة ويقبل الهدية ويُروى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ فَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ أَكَلَ مِنْهَا وَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا[٣٠٥]، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: **كُلُوا** وَلَمْ يَأْكُلْ وَإِنْ قِيلَ هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ"[٣٠٦].

وأخيرًا: فإن التهادي أمرٌ نراه في كلّ عصر من عصور البشرية، والكل يُحب أن يُهدَى ويُهدِي فقيرًا كان أم غنيًّا، كبيرًا كان أم صغيرًا، وفي حياة النبيّ ﷺ أجملُ نموذجٍ للتهادي، ومن ثمّ يجب علينا أن نهادي أفراد عائلتنا وجيراننا المقرّبين وأقرباءنا وأصدقاءنا المحبوبين ومَن نريد تطييبَ خاطرهم من الناس، ولا ننتظِرُ عوضًا وبديلًا مقابل الهديّة، كما يجب أن نقبل الهدايا المقدّمة إلينا بغضّ النظر عن كِبَرِ أو صِغَرِ حجمها، وعلينا ألّا نتنظرَ أيّ هديّةٍ مقابل الخدمات التي نقدّمها، وكذلك لا يجوز لنا الرجوع في الهديّة بعد تسليمها، ولا يجوز رفضُها وإن كانت غير ضروريّة.

والطريقة الأفضل في التهادي أن تكون الهدية غير باهظة الثمن، فالهدايا الثمينةُ قد توقِع آخذَها في حَرَجٍ، فقد يكون الشخص الذي قَبِلَ الهديّة لا يستطيع ردَّها بالمثل، فمن يقدّم الهدية أو يقبلها اتّباعًا للسنّة لا يجب عليه أن ينظر لكثرة الهدايا وقلّتها أو ثمنها، أما إذا كان التهادي بغرض الرياء والتباهي والتفاخر؛ فعندئذ لن يتحقق الهدف المرجوّ منه، ذاك أن التهادي يجب أن يكون في حدود الإمكانيّات وألّا يزيد عن الميزانيّة، فالأصل في التهادي هو التذكير والتواصل لا التباهي والتفاخر.

(٣٠٥) صحيح مسلم، الزكاة، ١٧٦.

(٣٠٦) صحيح البخاري، الهبة، ٧.

ب. المبادئ التي وضعها النبيّ ﷺ في التهادي

١- حثّه ﷺ على التهادي

قد حثّ النبيّ ﷺ أمّته على التهادي حتى تزداد المحبّة والمودّة فيما بينهم وتتوطّد علاقاتهم، ولذلك كان يُهدِي ويُهدَى ويحثُّ على التهادي، وبيّن فائدة ذلك بقوله ﷺ "**تَهَادَوا تَحَابُّوا**"(٣٠٧)، وبقوله ﷺ: "**تَهَادَوا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ**"(٣٠٨)، وهو هنا يُخبرنا أن التهادي يزيد المحبّة ويوطّد مشاعر الحبّ والصداقة بين الناس، ويُذهب الحقد والكراهية فيما بينهم، فعن عَطَاءِ بنِ عبدِ اللهِ الخُرَاسانيّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ، وَتَهَادَوا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ**"(٣٠٩).

٢- عدم اهتمامه ﷺ بحجم الهدية أو ثمنها

كان المصطفى ﷺ يقبل الهدايا، ولا ينظر لحجمها صغيرًا كان أو كبيرًا، وقال بخصوص قبول الهدية: "...**وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**"(٣١٠).

والحكمة من ذلك تتحقّق في قوله ﷺ: "... **وَتَهَادَوا تَحَابُّوا**..."، كما بيّن كيف أن الهديّة تزيد المحبّة بين الناس، وتقرب بينهم وإن كانت قليلة فقال: "**تَهَادَوا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَو شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ**"(٣١١)، والنبي ﷺ في مقدّمة هذا الحديث يحثّ على التهادي ويبين أنه يُذهب الحقد والكراهية من القلوب، أما بقيّة الحديث فيناقش فيها التهادي بين الجيران، وأنه أفضل شيءٍ يُبتدأ به الودّ بين

(٣٠٧) البخاري: الأدب المفرد، ٢٠٨/١.
(٣٠٨) سنن الترمذي: الولاء والهبة، ٦.
(٣٠٩) موطأ الإمام مالك، ١٣٣٤/٥.
(٣١٠) سبق تخريجه، حاشية رقم (٢٧١).
(٣١١) سنن الترمذي: الولاء والهبة، ٦.

الجيران، والمقصود هنا الجيران الذين يعيشون في نفس الحيّ أو العمارة أو المنـزل، وهـذه الأماكـن التي تعجّ بالنـاس يحدث فيها مشـاكل كثيرة لأسبابٍ عدّة مثل الضوضاء وغيرها، والتهادي هو الحلُّ الأمثل للتخلّصِ من كلّ أنواع المشاكل التي قد تحدث.

٣- عدم رفضه ﷺ الهدايا

لم يرفض الحبيبُ ﷺ هديّةً قطُّ، إلا في حالات استثنائية لكن إذا بلـغ الأمـر إلـى المحرّمات فإن النبـيّ ﷺ لا يُجامل أحدًا، بل يضـع الدين فوق كلّ اعتبـار، فعـن عبد الله بن عبّاسٍ عَـنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ ﷺ: أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِـ"الْأَبْوَاءِ" أَو بِـ"وَدَّانَ" فَرَدَّ عَلَيهِ فَلَمَّا رَأَى مَـا فِـي وَجْهِهِ قَالَ: "**أَمَا إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْـكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ**"[٣١٢]، في الحديث السـابق نرى أن "الصعب بن جثامة" قد حزن كثيرًا لرفض هديّته، فقد كان لا يعلـم أن الصيـد ممنـوعٌ ومحرّمٌ مـع الإحـرام، ولمّا علِـم النبي ﷺ بأن "الصعـبَ بن جثامـةَ" قد يحزن ويظنّ أن هديته قد رُفِضت وضّـح له الأمر بأنه لو لم يكن مُحْرِمًا لَقَبِلَهَا.

ونتعلّم من هذا الحديث أنه ينبغي لنا تفسير مواقفنا التي يُشكِلُ فهمُها أو التي تُفهَم على غير وجهِهَا الصحيح، فلا نتركها دون تفسيرٍ أو توضيحٍ كيلا تتفاقم وتكبُر، وإنما نُزيلُ الإشكال بالتوضيح والتبيان.

٤- عدم استرداد الهديّة

يُعتَبَـرُ التهـادي واحـدًا من أهمّ أسـباب ازديـاد المـودّة والمحبّة بين الناس، وله أصوله وقواعده وضوابطه الخاصّة، وأهمها عدم التراجـع عن الهدية أو طلب استردادها من جديد، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، يَرْفَعَانِ

(٣١٢) صحيح البخاري، الهبة، ٦.

الحَدِيثَ إلى رسول الله ﷺ قَالَ: "**لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا إِلَّا الوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ، وَمَثَلُ الَّذِي يُعْطِي العَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الكَلْبِ أَكَلَ حَتَّى إِذَا شَبِعَ قَاءَ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ**"[٣١٣]، فالنهيُ هنا جاءَ بأشدّ الألفاظ القطعيّة التي تُقرّع وتُعنّف فاعل ذلك.

٥- رفضه ﷺ هدايا غير المسلمين إلا في الظروف الاستثنائية

عادة لم يكن النبي ﷺ يقبل هدايا المشركين أو غير المسلمين عمومًا إلا في الظروف الاستثنائيّة، بل إنّه نهى عن ذلك، فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، قَالَ: "أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً، فَقَالَ: **أَسْلَمْتَ؟**، فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ الْمُشْرِكِينَ**"[٣١٤]، ولقد سرد "الخطابي" حكمةَ عدم قبول النبيّ ﷺ هذه الهديّة فقال: "وفي ردِّهِ هديَّتَه وجهان أحدهما أن يغيظه برَدِّ الهدية فيمتعض منه فيحمله ذلك على الاسلام، والآخر أن للهدية موضعًا من القلب، وقد روي "**تهادوا تحابوا**"، ولا يجوز عليه ﷺ أن يميل بقلبه إلى مشرك فَرَدَّ الهديةَ قطعًا لسبب الميل"[٣١٥]، بيد أن الوضع مختلف بالنظر إلى المناسبات التي تكون بين الدول وبعضها البعض، فقد كان الرسول ﷺ يقبل الهدايا من الدول المجاورة حفاظًا على العلاقات الثنائية بين الدولتين، وهذا يندرج تحت الظروف الاستثنائية.

٦- تقديم الهدية دون انتظار مقابل لها

لا شك أن التهادي يقوّي العلاقات بين الناس ويزيد المودّة والمحبة، إلا أنه من الواجب مراعاة المبادئ والأصول في ذلك، طبقًا لأخلاق الدين الإسلامي وآدابه، وبناءً على ذلك لا يجوز إعطاء هدية وانتظار مقابل لها

(٣١٣) سنن الترمذي، الولاء والهبة، ٧.

(٣١٤) سنن أبي داود، الخراج، ٣٣-٣٥؛ سنن الترمذي، السير، ٢١، ومعنى زبد المشركين: هداياهم.

(٣١٥) الخطابي: معالم السنن، ٤١/٣.

مثلها أو أكثر منها، ويستوقفنا هنا حديثُ أبي هريرة ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَكْرَةً فَعَوَّضَهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَتَسَخَّطَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "**إِنَّ فُلَانًا أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً فَعَوَّضْتُهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَظَلَّ سَاخِطًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوسِيٍّ**"(٣١٦) وعلى الرغم من الأخطاء التي كان النبي ﷺ يلاحظها في سلوكيّات الناس، إلا أنه كان يتعامل معهم بكل رفقٍ ولينٍ ومسامحةٍ، ونرى أمثلة ذلك كثيرة في حياة الرسول الكريم ﷺ، بيد أن هذا السلوك الفظ الغليظ قد يحثّ الرسولَ أحيانًا على عدم قبول الهدية رغم عظيم فضلها وأهمّيّتها، ويُفهَم من ذلك أنّ تقديمَ الهديّة طمعًا في مقابلها هو سلوكٌ سيّئٌ دنيءٌ يترفّع عنه كرام الرجال.

٧- عدم قبول الهدية مقابل خدمة

لقد علّمَنا المصطفى ﷺ متى نرفض الهدية ومتى نقبلها، ففي رواية عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ، فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا، فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا**"(٣١٧)، وعلى ذلك لا يجوز قبول الهدية مقابل خدمةٍ ما، فإن هذا يُزيل ثواب العمل، كما أنه يُذهب الربح الحلال، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: "عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ، وَالْقُرْآنَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ، لَآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَأَسْأَلَنَّهُ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ أَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ ﷺ: **إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا**"(٣١٨).

(٣١٦) سنن الترمذي، المناقب، ٧٣.

(٣١٧) سنن أبي داود، البيوع، ٨٢.

(٣١٨) سنن أبي داود، البيوع، ٣٦.

لـم يكـن أحدٌ في عهد النبي ﷺ يأخذ أجـرًا مقابل تحفيظ القرآن، بيد أن بعـض الآراء قـد أجازت هذا الأمر في العصـور التالية نظرًا للضرورة، ومعنى تعليمُ الكتابِ في الحديث أي تعليم الكتابة.

٨- إعطاؤه ﷺ الملابس التي كان لا يستخدمها على سبيل الهدية

إرساله ﷺ الفرو إلى جعفر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ''إِنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ مُسْتَقَةً مِـنْ سُـنْدُسٍ، فَلَبِسَـهَا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَـى يَدَيهَا تَذَبْذَبَانِ مِـنْ طُولِهِمَا، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: يَا رَسُـولَ اللهِ، أُنْزِلَتْ عَلَيكَ هَذِهِ مِنَ السَّـمَاءِ، فَقَالَ ﷺ: **وَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْهَا، فَوَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِهِ إِنَّ مَنْدِيلًا مِنْ مَنَادِيلِ سَـعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّـةِ خَيـرٌ مِنْهَا**، ثُمَّ بَعَـثَ بِهَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ فَلَبِسَـهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **إِنِّي لَمْ أُعْطِكَهَا لِتَلْبَسَهَا**، قَالَ: فَمَا أَصْنَـعُ بِهَا؟ قَالَ ﷺ: **أَرْسِلْ بِهَا إِلَى أَخِيكَ النَّجَاشِيِّ**''[٣١٩].

كان الرسـول الكريـم ﷺ إذا جاءته هديّة ثمينـةٌ يهديها على الفور إلى الآخريـن، إيمانًـا منه أن مثل هذه الهدايـا القيّمة قد تثير الحزنَ والغيرة في قلـوب الناس لـذا كان النبي ﷺ يتخلّص من مثل هـذه الهدايا الباهظة بأن يهديها لغيره فور مجيئها لكي يرفـع الحرج والحزن عن الآخرين.

(٣١٩) مسند الإمام أحمد، ٩٢/٢١